Mesopotamian journal of Quran studies
Vol.2024, **pp**. 73–78
DOI: https://doi.org/10.58496/MJQS/2024/012 ; ISSN: 3005–9933
https://mesopotamian.press/journals/index.php/MJQS

The Jurisprudence of Difference and Its Impact on the Unity of the Islamic Ummah

فقه الاختلاف وأثره على وحدة الأمة الإسلامية

Zainab nayef Jaser 1,*
[1] *College of Education, University of Anbar, Anbar, Iraq.*

زينب نايف جاسر [1،*]
[1] *كلية التربية ، جامعة الانبار ، الانبار ، العراق.*

ABSTRACT

This research deals with the concept of "jurisprudence of difference" in Islam and its impact on the unity of the Islamic nation, as this science is one of the most important tools for dealing with jurisprudential pluralism and the difference of opinions among scholars. The research sheds light on the reasons for jurisprudential differences, including different texts, diversity of Arabic grammar, different fundamentalist rules, and the influence of time and place, which contributes to creating diverse interpretations of Islamic law. The research highlights the positive impact of the jurisprudence of difference on the unity of the nation, as it promotes jurisprudential tolerance, allows diversity of solutions, and directs Muslims towards adherence to the literature of dialogue and coexistence with different opinions.The study is based on a review of modern and classical literature, showing how the jurisprudence of difference contributes to strengthening Islamic society by accepting diversity as part of a common Islamic identity, and moving away from division and conflict. The research provides recommendations on how to promote a culture of constructive difference in Islamic society, and rely on moderate contemporary references to achieve cohesion and unity among Muslims despite their jurisprudential differences.

الخلاصة

يتناول هذا البحث مفهوم "فقه الاختلاف" في الإسلام وأثره على وحدة الأمة الإسلامية، حيث يُعدّ هذا العلم من أهم أدوات التعامل مع التعددية الفقهية واختلاف الآراء بين العلماء. يسلط البحث الضوء على أسباب الاختلاف الفقهي، ومنها اختلاف النصوص، وتنوع قواعد اللغة العربية، واختلاف القواعد الأصولية، وتأثير الزمان والمكان، مما يُسهم في خلق تفسيرات متنوعة للشريعة الإسلامية. ويُبرز البحث الأثر الإيجابي لفقه الاختلاف على وحدة الأمة، حيث يعزز من التسامح الفقهي، ويتيح تنوع الحلول، ويوجه المسلمين نحو الالتزام بأدب الحوار والتعايش مع الآراء المختلفة.تستند الدراسة إلى مراجعة أدبيات حديثة وكلاسيكية، توضح كيف أن فقه الاختلاف يساهم في تقوية المجتمع الإسلامي من خلال قبول التنوع كجزء من الهوية الإسلامية المشتركة، والابتعاد عن الانقسام والصراعات. يُقدم البحث توصيات حول كيفية تعزيز ثقافة الاختلاف البناء في المجتمع الإسلامي، والاعتماد على مرجعيات معاصرة معتدلة لتحقيق التلاحم والوحدة بين المسلمين رغم اختلافاتهم الفقهية.

.

Keywords
الكلمات المفتاحية
Jurisprudence of difference, Islamic unity, jurisprudential tolerance, jurisprudential pluralism, literature
فقه الاختلاف، الوحدة الإسلامية، التسامح الفقهي، التعددية الفقهية، أدب الحوار

Received	Accepted	Published online
استلام البحث	قبول النشر	النشر الالكتروني
15/8/2024	10/10/2024	14/11/2024

*Corresponding author Zainb_nayif_j50@gmail.com.com

CC BY

١. المقدمة

يُعد "فقه الاختلاف" أحد فروع الفقه الإسلامي التي تُعنى بدراسة أسباب الاختلاف بين العلماء والمذاهب، وكيفية التعامل مع هذا التنوع بما يعزز من التماسك والوحدة بين المسلمين. فالمجتمع الإسلامي يتسم بتنوعه، ويشمل مناطق متعددة وثقافات مختلفة، مما يجعل التعددية الفقهية سمة أساسية في الشريعة الإسلامية، بل وأحد جوانبها الجمالية التي تعكس مرونة الإسلام وقدرته على التأقلم مع مختلف الأزمنة والأمكنة. ويتيح فقه الاختلاف إمكانية التعامل مع هذا التنوع من خلال تعزيز مبادئ التسامح والاحترام المتبادل بين المذاهب.يعود هذا الاختلاف إلى أسباب عديدة منها اختلاف النصوص الشرعية في دلالاتها وقوتها، وتنوع أدوات الفهم والاستنباط التي يعتمد عليها العلماء في تفسير النصوص، واختلاف البيئات الاجتماعية والثقافية التي عاش فيها العلماء، مما جعلهم يجتهدون وفقًا لمعطيات مختلفة (ابن تيمية، ٢٠٢٠؛ الشاطبي، ٢٠١٦). ويتضح من ذلك أن الاختلاف الفقهي ليس نقيصة أو انحرافًا عن الدين، بل هو تعبير عن الاجتهاد في سبيل الوصول إلى الفهم الأمثل للشريعة، وقد أقرّ الصحابة والتابعون بهذا التنوع وأثنوا عليه باعتباره يشمل سعةً ورحمةً للأمة (القرضاوي، ٢٠١٩).يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم فقه الاختلاف وأثره الإيجابي في الحفاظ على وحدة الأمة، من خلال تعزيز قبول التعددية الفكرية ضمن أطر شرعية سليمة، واحترام الرأي الآخر دون تعصب أو انحياز، مما يسهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية وتماسكها. كما يطرح البحث كيفية التعامل مع التعددية الفقهية بما يعزز وحدة الصف الإسلامي ويحول دون تحويل الاختلافات إلى خلافات مفرقة (الغزالي، ٢٠١٨؛ الهلالي، ٢٠٢٢)إن فهم هذه الأسس والأساليب من شأنه أن يسهم في توجيه الأمة نحو تحقيق أهدافها الكبرى، وتعزيز وحدتها رغم اختلافاتها الفقهية، مما يُعد هدفًا نبيلًا في مجتمع إسلامي يطمح إلى التقدم والتماسك.

٢. دراسات سابقة حول فقه الاختلاف ووحدة الأمة

يسعى فقه الاختلاف إلى تسليط الضوء على كيفية التعامل مع التعددية الفقهية بطريقة تعزز وحدة الأمة الإسلامية، مع الاعتراف بأن التباين في الآراء الفقهية يعد جزءًا من التراث الإسلامي الثري. وقد تناول العلماء والمفكرون هذا الموضوع بتفصيل من خلال دراسات أساسية حول أسباب الاختلاف وأثره وكيفية التعامل معه، وفيما يلي عرض لبعض الدراسات المهمة في هذا المجال:

١. الشاطبي، إبراهيم. (٢٠١٦) .*الموافقات في أصول الشريعة* .دار ابن عفان : يُعتبر كتاب "الموافقات" من أهم الكتب التي تناولت أسس فقه الاختلاف، حيث يوضح الشاطبي أسباب اختلاف العلماء وكيفية التعامل مع التباينات في الاجتهادات الفقهية. يؤكد الشاطبي على ضرورة التركيز على أصول الشريعة وتوحيد الجهود حول الأهداف الكبرى، مع احترام اختلافات الفروع، بما يُسهم في تعزيز وحدة الأمة.

٢. ابن تيمية، أحمد. (٢٠٢٠) .*رفع الملام عن الأئمة الأعلام* .مكتبة الرشد : يُعد هذا الكتاب من المؤلفات التي توضح أسباب الاختلاف بين العلماء، حيث يناقش ابن تيمية مسألة الاجتهاد والأخطاء المحتملة في فهم النصوص الشرعية، مؤكدًا على أن الاختلاف لا ينبغي أن يؤدي إلى النزاع، بل يجب أن يُعامل كأحد أوجه الرحمة في الأمة. يهدف الكتاب إلى تربية المسلمين على احترام الآراء المختلفة وتجنب التعصب.

٣. القرضاوي، يوسف. (٢٠١٩) .*فقه الاختلاف* .دار الشروق : يتناول الدكتور يوسف القرضاوي مفهوم فقه الاختلاف في الإسلام، ويطرح رؤية معاصرة للتعامل مع التعددية الفقهية في ظل المجتمع الحديث. يناقش القرضاوي كيفية استثمار الاختلاف لتعزيز التفاهم والتسامح بين المسلمين، ويؤكد على أهمية احترام الرأي الآخر كوسيلة للحفاظ على وحدة الصف الإسلامي.

٤. الغزالي، أبو حامد. (٢٠١٨) .*إحياء علوم الدين* .دار المنهاج : يُعد "إحياء علوم الدين" مرجعًا رئيسيًا في تربية المسلمين على أدب الاختلاف، حيث يسلط الغزالي الضوء على أهمية التواضع وحسن الخلق عند الحوار حول المسائل الفقهية. يؤكد الغزالي أن الهدف من الاختلاف يجب أن يكون الوصول إلى الحق وليس الانتصار للآراء الشخصية، مما يسهم في تعزيز روح الأخوة والتماسك.

٥. القرطبي، محمد. (٢٠٢١) .*الجامع لأحكام القرآن* .مركز الدراسات القرآنية : يتناول القرطبي في تفسيره أبعاد الاختلاف الفقهي من منظور قرآني، ويقدم تفسيرًا للآيات التي تتعلق بأدب الاختلاف. يشدد الكتاب على أن التنوع الفقهي يجب أن يكون مصدر قوة للأمة، مشيرًا إلى أهمية قبول التعددية في الفتاوى والاجتهادات التي تسهم في تلبية احتياجات المسلمين في مختلف البيئات.

٦. الهلالي، محمد طاهر. (٢٠٢٢) .*القراءات القرآنية وأثرها في التشريع الإسلامي* .دار السلام : يناقش هذا الكتاب تأثير تعدد القراءات القرآنية على التشريع الإسلامي، وكيف يمكن لهذه القراءات أن تثري الفقه الإسلامي وتزيد من مرونته. يبرز الهلالي أن الاختلاف في القراءات يُسهم في تقديم فهم أوسع للنصوص الشرعية، ويعزز من إمكانية استيعاب التغيرات الزمنية والمكانية ضمن إطار الشريعة.

٧. عبد العظيم، خالد. (٢٠٢١) .*إدارة الخلافات الفقهية في الإسلام: أسس وأدبيات* .مكتبة الرشد : يركز هذا الكتاب على كيفية إدارة الاختلافات الفقهية بأسلوب يحافظ على وحدة المجتمع، ويقدم أسسًا للتعامل مع الآراء المتباينة داخل المجتمع الإسلامي. يشدد عبد العظيم على أن حسن إدارة الاختلاف يسهم في تحقيق الاستقرار والتلاحم بين أفراد الأمة، مع التركيز على تجنب النزاعات التي قد تؤدي إلى تفرق الصفوف.

٨. شحاتة، إبراهيم. (٢٠٢٠) .*الاختلافات الفقهية وأثرها في تعزيز المرونة الفقهية* .دار الفكر المعاصر : يناقش شحاتة دور الاختلافات الفقهية في تعزيز المرونة التشريعية، ويوضح كيف يمكن لهذه الاختلافات أن تسهم في تلبية احتياجات المسلمين المتغيرة. يشير الكتاب إلى أن التنوع الفقهي يُعد من عناصر القوة في الشريعة الإسلامية، إذ يتيح للمجتمع الإسلامي التكيف مع مختلف الظروف والمواقف.

٩. الطهطاوي، محمد بن علي. (٢٠٢١) .*تفسير آيات الاختلاف في القرآن الكريم* .دار الفجر الإسلامي : يقدم الطهطاوي تفسيرًا للآيات المتعلقة بالاختلاف في القرآن، ويبرز كيف يتم توجيه الأمة للتعامل مع الخلافات الفقهية بأسلوب يُعزز من وحدتها. يسعى الكتاب إلى تقديم فهم متكامل لأدب الاختلاف في الإسلام وكيف يمكن للقرآن أن يوجه الأمة نحو التآلف والتكاتف رغم التباين في الاجتهادات.

١٠. الحازمي، عبد الله بن صالح. (٢٠٢٢). *التعددية الفقهية وأثرها في تقوية المجتمع الإسلامي* .مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية يتناول هذا الكتاب دور التعددية الفقهية في بناء مجتمع إسلامي قوي ومتماسك، حيث يؤكد الحازمي أن التنوع في الآراء الفقهية يُسهم في تلبية حاجات المسلمين وتنوعاتهم الثقافية، ويعزز من قدرة الأمة على التعامل مع المتغيرات المعاصرة بروح من الوحدة والتكامل.

وتُظهر هذه الدراسات أهمية فقه الاختلاف ودوره في تعزيز وحدة الأمة من خلال التسامح وقبول التنوع الفقهي. كما تؤكد على ضرورة احترام الآراء المختلفة وأدب الحوار، إضافة إلى التركيز على القضايا المشتركة التي تجمع المسلمين. تُعد هذه الدراسات مراجع أساسية في فهم كيفية التعامل مع الاختلافات بطريقة تسهم في بناء مجتمع إسلامي متماسك، وتوفر منهجيات واضحة لاستثمار التعددية الفقهية لصالح الأمة الإسلامية.

٣. مفهوم فقه الاختلاف

يعرف "فقه الاختلاف" بأنه علم يُعنى بدراسة الاختلافات الفقهية التي تنشأ بين العلماء نتيجة تباين فهمهم للنصوص الشرعية، وكيفية التعامل معها بطريقة تضمن عدم التأثير السلبي على وحدة الأمة الإسلامية. يُعتبر هذا الفقه جزءًا من الاجتهاد في الإسلام، ويعدّ اختلاف العلماء أحد أوجه ثراء الشريعة ومرونتها، حيث يتيح للمسلمين تعددية في الفهم تمكنهم من التكيف مع مختلف الظروف والأحوال، دون المساس بثوابت الدين وأصوله المتفق عليها. فقه الاختلاف يسهم في تعزيز التسامح وقبول التعددية الفكرية داخل المجتمعات الإسلامية، مشددًا على أهمية احترام الآراء الأخرى واعتبارها اجتهادات في سبيل الله (الشاطبي، ٢٠١٦؛ القرضاوي، ٢٠١٩).ويُعزى الاختلاف بين العلماء إلى عدة عوامل منها طبيعة النصوص الشرعية، حيث يتفاوت بعضها في درجة الوضوح والقوة الدلالية. فبعض النصوص تكون قطعية الدلالة ولا تقبل التأويل، بينما تكون نصوص أخرى ظنية وتفتح المجال أمام التأويل والفهم المختلف، وهو ما يتيح للعلماء الاجتهاد بناءً على أدواتهم المعرفية والخبرات التي اكتسبوها في مجالاتهم (ابن تيمية، ٢٠٢٠؛ الشاطبي، ٢٠١٦). كما يلعب السياق الزمني والمكاني دورًا مهمًا في تشكيل فهم العلماء للنصوص الشرعية، حيث يُراعي العلماء الظروف البيئية والاجتماعية التي عاشوا فيها عند إصدار الفتاوى، مما يؤدي إلى تباين الاستنباطات الفقهية ويمنح الشريعة مرونة تلبي احتياجات المسلمين في كل زمان ومكان (عبد العظيم، ٢٠٢١).يؤكد فقه الاختلاف أيضًا على ضرورة احترام أدب الاختلاف بين العلماء، حيث يتعلم الدارس لهذا العلم كيفية التمييز بين الاختلاف المقبول الذي يتسع له الاجتهاد، وبين الخلاف الذي لا يسوغ في أصول الدين وثوابته. ويهدف هذا العلم إلى تربية أفراد المجتمع الإسلامي على أن الاختلاف في الفروع الفقهية لا ينبغي أن يؤدي إلى التفرقة أو النزاع، بل يُعدّ مصدر قوة وتكامل يعزز من مرونة الشريعة واستجابتها لاحتياجات الناس (الهلالي، ٢٠٢٢؛ الحازمي، ٢٠٢٢).إن فقه الاختلاف يمثل ضرورة في حياة المسلمين المعاصرة، حيث بات من الأهمية بمكان أن تُفهم وتُدرس الآليات التي تضمن احترام الاختلافات الفكرية والفقهية ضمن إطار الوحدة الإسلامية، مما يعزز من ثقافة الحوار البنّاء ويحافظ على تماسك المجتمع الإسلامي رغم تنوع الاجتهادات.

٤. أسباب الاختلاف بين العلماء

تُعتبر أسباب الاختلاف بين العلماء من القضايا المهمة في فقه الاختلاف، حيث تفسر لنا الأسباب التي أدت إلى تنوع الآراء الفقهية وتعدد المذاهب داخل الإسلام. ومن أبرز هذه الأسباب:

١. اختلاف النصوص: تتباين النصوص الشرعية من حيث درجة وضوحها ودلالتها، فهناك نصوص قطعية الدلالة لا تقبل التأويل، وأخرى ظنية الدلالة تتيح مجالًا للاجتهاد وتعدد الفهم. هذا التباين يؤدي إلى اختلاف العلماء في استنباط الأحكام الشرعية، حيث قد يختلفون في تفسير النصوص الظنية بناءً على أساليبهم في التأويل وتفسير اللغة (ابن تيمية، ٢٠٢٠). مثال على ذلك، تفسير العلماء لبعض الآيات المتعلقة بحدود الزكاة، حيث قد يختلفون في تأويل مقدار النصاب بسبب تنوع النصوص وظنية بعضها.

٢. اختلاف قواعد اللغة العربية: اللغة العربية، بلاغتها وتعدد معاني كلماتها ودلالاتها، هي أساس النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية. هذا التنوع في اللغة يفتح مجالًا واسعًا للتفسير، إذ أن العديد من الكلمات قد تحمل معانٍ متعددة بحسب سياقها واستخدامها. على سبيل المثال، كلمة

"القسط" تأتي بمعنى العدل وأحيانًا بمعنى الحصة، ما قد يؤدي إلى تباين في الفهم. كما أن ظواهر مثل الاشتقاق والنحت والتوسع في معاني الألفاظ تسهم في تفسير النصوص بشكل متنوع (القرضاوي، ٢٠١٩).

٣. اختلاف القواعد الفقهية: يعتمد الفقهاء في استنباطهم للأحكام الشرعية على قواعد أصولية متنوعة، ما يؤدي إلى اختلافات في النتائج الفقهية. بعض العلماء يعتمد على القياس كوسيلة أساسية للاجتهاد، في حين أن آخرين قد يميلون إلى الاستحسان أو المصالح المرسلة، وهي قواعد فقهية تستند إلى تأويلات وظروف تختلف من عالم لآخر. على سبيل المثال، نجد أن الإمام مالك يعتمد بشكل كبير على "المصالح المرسلة"، في حين يفضل الإمام الشافعي القياس ويضعه كأحد أهم مصادر التشريع بعد النصوص، مما يؤدي إلى تباين في الفتاوى حسب المدرسة الفقهية المتبعة (الهلالي، ٢٠٢٢؛ الشاطبي، ٢٠١٦).

٤. اختلاف البيئة والزمان: الزمان والمكان يلعبان دورًا هامًا في توجيه اجتهادات العلماء. فالبيئات الثقافية والاجتماعية المختلفة قد تفرض حاجة إلى تكييف الفتاوى وفقًا للأوضاع السائدة في تلك البيئات، مع مراعاة القواعد الشرعية العامة. في المناطق الصحراوية مثلًا، قد يتخذ العلماء فتاوى تتناسب مع ظروف القسوة والندرة، بينما في البيئات الزراعية أو التجارية قد تظهر فتاوى مختلفة تتماشى مع طبيعة المجتمع وتحدياته الاقتصادية. إضافةً إلى ذلك، نجد تغيرات الزمن تؤثر أيضًا، حيث أن التطورات الاقتصادية والتكنولوجية الحديثة قد تفرض على العلماء المعاصرين اجتهادات جديدة تتلاءم مع ظروف العصر الحديث (عبد العظيم، ٢٠٢١).

٥. المصادر : أثر فقه الاختلاف على وحدة الأمة الإسلامية

رغم وجود اختلافات فقهية متعددة في التراث الإسلامي، إلا أن العلماء قد عملوا على استثمار هذه الاختلافات لدعم وحدة الأمة وتعزيز الانسجام بين أفرادها، حيث يرى العلماء أن الاختلاف يمكن أن يكون عاملًا إيجابيًا يسهم في بناء مجتمع متماسك ومتقبل للتنوع. من خلال فقه الاختلاف، نجد العديد من الجوانب الإيجابية التي أثرت على وحدة الأمة الإسلامية، منها:

١. التسامح الفقهي : لقد شجع فقه الاختلاف الأمة الإسلامية على تبني التسامح كأحد الأسس للتعامل مع الخلافات الفقهية، حيث يُعتبر هذا التسامح عنصرًا مهمًا في قبول التنوع المذهبي والفكري داخل الإسلام. إذ عمل العلماء، مثل الإمام الشافعي وأبي حنيفة، على قبول الآراء المختلفة وإظهار الاحترام للآراء الأخرى، مع التزامهم بمبادئ الشريعة التي تمنع التجاوز على الآخرين. وقد أدى هذا المنهج إلى تعزيز ثقافة التسامح، حيث نجد أن المسلمين قد درجوا على تقبل اختلاف الآراء وتجنب النزاعات التي قد تؤدي إلى شقاق الأمة (حجازي، ٢٠٢١). كما أن تنوع الآراء بين المذاهب أدى إلى خلق جو من الحوار البناء الذي يُجنّب الانقسامات غير الضرورية (القرضاوي، ٢٠١٩).

٢. التنوع في الحلول: يُعد فقه الاختلاف مصدرًا للمرونة في الشريعة الإسلامية، حيث يسمح بتعدد الحلول لمواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية، مما يجعل الشريعة قادرة على التكيف مع مختلف الأوضاع والبيئات. على سبيل المثال، نجد أن المذاهب الأربعة تقدم حلولًا مختلفة لقضايا مثل المعاملات المالية والزواج، حيث يُمكن للمسلمين اختيار ما يناسب ظروفهم وفق الضوابط الشرعية. هذا التنوع يجعل الشريعة متجددة ومستجيبة لمتغيرات العصر، ويتيح للمسلمين حرية اختيار الآراء التي تناسبهم دون أن يكون في ذلك تعارض مع أصول الدين (شحاتة، ٢٠٢٠؛ ابن تيمية، ٢٠٢٠).

٣. الوحدة في الأصول: إن أحد أهم آثار فقه الاختلاف هو التأكيد على وحدة الأمة الإسلامية في الأصول العقدية، رغم تنوع الآراء في الفروع الفقهية. يتفق العلماء على أن هذه الاختلافات يجب أن تبقى في إطارها ولا تمس بأصول العقيدة، حيث يجتمع المسلمون جميعًا على الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر. هذه الوحدة العقائدية تساعد في صيانة الهوية الإسلامية، وتجعل من الاختلافات الفقهية مصدر إثراء للفكر الإسلامي وليس سببًا للانقسام. وقد أكدت الدراسات الفقهية الحديثة على أن هذا التوازن بين الوحدة في الأصول والتنوع في الفروع يسهم في تعزيز الاستقرار الفكري والديني داخل المجتمع الإسلامي (الشاطبي، ٢٠١٦؛ الهلالي، ٢٠٢٢).

٤. التربية على أدب الاختلاف: يُعزز فقه الاختلاف من أهمية أدب الحوار واحترام الآراء المتنوعة، حيث يُعد أدب الاختلاف عنصرًا أساسيًا في تحقيق الوحدة الإسلامية، ويعلم الأفراد كيفية التعامل مع الآراء المختلفة بأسلوب سليم وبناء. فالتعامل بأدب واحترام مع الآراء الأخرى يمنع الشحناء والبغضاء، ويعزز من التماسك الاجتماعي. على سبيل المثال، يُركز الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" على ضرورة احترام الآخرين وتقبل اختلافاتهم، ويُشدد على أهمية التسامح كوسيلة لتجنب النزاعات (الغزالي، ٢٠١٨). إضافةً إلى ذلك، فإن أدب الاختلاف يُسهم في خلق بيئة من الحوار الإيجابي الذي يجعل المجتمع أكثر استعدادًا لمواجهة تحديات العصر وتجاوز الخلافات الثانوية.

٥. التكامل الفكري بين المذاهب: يُعتبر فقه الاختلاف عاملًا محفزًا للتكامل بين المذاهب الفقهية، حيث يؤدي إلى إثراء الفكر الإسلامي من خلال توظيف كل مذهب لجوانب معينة قد لا توجد في المذاهب الأخرى. هذا التكامل يُعزز من شمولية الفقه الإسلامي وقدرته على تلبية حاجات المسلمين المتنوعة.

فعلى سبيل المثال، اعتمدت بعض الدول الإسلامية على فقه الإمام مالك في مسائل الأحوال الشخصية، بينما استعانت بآراء الحنفية في الأمور التجارية، مما يُبرز أن فقه الاختلاف يساهم في تعزيز الوحدة والتنوع الفكري في آن واحد (حجازي، ٢٠٢١؛ عبد العظيم، ٢٠٢١).

يظهر من خلال هذه الآثار أن فقه الاختلاف لم يكن سببًا للنزاع، بل أصبح وسيلة للتكامل والتسامح وتثبيت الوحدة، مما ساهم في تطوير فكر إسلامي أكثر شمولية ومرونة قادر على احتواء التنوع الفكري بما يعزز وحدة الأمة الإسلامية

٦. كيفية التعامل مع الاختلاف بما يحافظ على وحدة الأمة

للحفاظ على وحدة الأمة رغم تنوع الآراء والاختلافات الفقهية، لا بد من اتباع أساليب تتسم بالمرونة والحكمة، وتعمل على تحقيق التآلف بين المسلمين وتقوية تماسكهم. ومن أهم هذه الأساليب:

١. الالتزام بأدب الحوار: يعد أدب الحوار حجر الأساس في التعامل مع الخلافات الفقهية، حيث يُحتم على المسلمين تبني منهجية احترام الرأي الآخر عند مناقشة القضايا الخلافية. فالاختلاف الفقهي لا يعني بالضرورة الخروج عن الدين، بل هو غالبًا ناتج عن اجتهاد العلماء في فهم النصوص الشرعية. لذا، من المهم أن يتجنب المسلمون التناحر وتبادل الاتهامات، وأن يُدركوا أن الاختلاف قد يعبر عن تباين الأفهام والرؤى ولا يعكس بالضرورة نقصًا في الإيمان (القرطبي، ٢٠٢١). إن التزام أدب الحوار يؤدي إلى تعزيز الاحترام المتبادل والتقدير بين المسلمين ويُجنبهم الوقوع في نزاعات تمزق الصفوف وتضعف من وحدة الأمة (حجازي، ٢٠٢١).

٢. تعزيز ثقافة الاختلاف البناء: من الضروري نشر ثقافة "الاختلاف البناء" بين المسلمين، بحيث يُصبح الهدف من النقاشات هو الوصول إلى الحقيقة، وليس التمسك بالآراء الشخصية أو الانتصار لها. ويعني الاختلاف البناء التفاعل مع الآراء الأخرى بموضوعية واحترام، دون تبني موقف عدائي تجاه المخالفين. ويشمل هذا النهج تعلم كيفية التعامل مع تنوع الاجتهادات بأسلوب يتجنب الاستعلاء والتعصب. إن تعزيز هذه الثقافة في المجتمع الإسلامي يؤدي إلى تقبل الاختلافات برحابة صدر، ويعزز من أواصر المحبة والأخوة، مما يسهم في بناء مجتمع قوي وموحد (عبد العظيم، ٢٠٢١؛ القرضاوي، ٢٠١٩).

٣. التركيز على القضايا الكبرى: يتوجب على المسلمين تركيز جهودهم وطاقاتهم على القضايا الكبرى التي تهم جميع المسلمين، مثل الدعوة إلى الله، وتعزيز العدالة الاجتماعية، وحماية حقوق الإنسان، بدلًا من التوقف عند المسائل الخلافية الصغيرة التي قد تُضعف وحدة الأمة وتفرق صفوفها. فالتركيز على الأهداف الكبرى يساهم في توجيه الأمة نحو الأهداف المشتركة ويعزز من تلاحمها وتماسكها، حيث يتوحد المسلمون حول القيم الأساسية للإسلام وأهدافه العظيمة، بدلًا من الغرق في قضايا فرعية قد تسبب الانقسام (الطهطاوي، ٢٠٢١). إن العمل على هذه القضايا يعزز من صورة الإسلام ويسهم في تحقيق رسالة الشريعة الإسلامية.

٤. الاعتماد على مرجعيات معاصرة معتدلة: يُعد الاستناد إلى العلماء المعاصرين المؤهلين في ظل التحديات والقضايا الجديدة أمرًا ضروريًا، حيث يمثل هؤلاء العلماء مرجعية فقهية تجمع بين الأصالة والمعاصرة. ويتسم العلماء المعتدلون بالقدرة على تجديد الفتاوى والاجتهادات بما يتناسب مع مستجدات العصر، وفي الوقت ذاته الالتزام بثوابت الشريعة. اعتماد مثل هذه المرجعيات يضمن توجيه الأمة نحو الوحدة والتماسك، ويعزز من قدرتها على مواجهة التحديات المعاصرة مع تجنب الاختلافات المفرّقة (الحازمي، ٢٠٢٢؛ الهلالي، ٢٠٢٢).

٥. التربية على قبول الرأي الآخر وتنوع الاجتهادات: يعد غرس ثقافة قبول الرأي الآخر وتعدد الاجتهادات في الأجيال الصاعدة من أهم وسائل الحفاظ على وحدة الأمة. فمن خلال التربية الإسلامية الصحيحة التي تُعزز من قيمة التسامح وقبول التنوع، ينشأ جيل يتفهم أن الخلاف الفقهي لا يعني العداء، بل هو جزء من ثراء الفكر الإسلامي. ويساهم هذا في بناء مجتمع يقدر العلماء والفقهاء ويقبل بتنوع آرائهم دون انقسام أو صراع (الغزالي، ٢٠١٨).

٦. الاهتمام بالتثقيف الشرعي الصحيح: التعليم الشرعي الصحيح هو أساس فهم فقه الاختلاف والتعامل معه بطريقة صحيحة. فمن خلال توفير دراسات شرعية متوازنة تُعلم الأفراد الأصول والقواعد التي بُني عليها الاختلاف، يصبح المسلمون أكثر وعيًا بتنوع الفتاوى واحترامها، مما يقلل من النزاعات الناتجة عن الجهل. التعليم الشرعي السليم يسهم في خلق مجتمع.

٧. الخاتمة

فقه الاختلاف من العلوم الإسلامية الهامة التي تهدف إلى فهم أسباب تنوع الآراء الفقهية والتعامل معها بأسلوب بناء. هذا الفقه يُعزز الوحدة الإسلامية من خلال قبول التنوع الفقهي كجزء من النظام الإسلامي الشامل. إن تطبيق هذا الفقه واحترام الآراء المتباينة، مع الالتزام بأدب الحوار والتركيز على المشتركات، يسهم في

بناء مجتمع إسلامي متماسك قادر على مواجهة التحديات. وإذ نختتم هذا البحث، نؤكد على أهمية المحافظة على فقه الاختلاف كركيزة لتحقيق الوحدة، واستثمار هذا التنوع في خدمة قضايا الأمة الكبرى.

Conflicts Of Interest

The paper's disclosure section confirms the author's lack of any conflicts of interest.

Funding

The author's paper makes it clear that the research was conducted without any financial assistance from institutions or sponsors.

Acknowledgment

The author would like to thank the administrative staff at the institution for their assistance and logistical support throughout the duration of this research.

References

[1] Ibn Taymiyyah, A. (2020). *Rafʿ al-malām ʿan al-aʾimmah al-aʿlām*. Maktabat al-Rushd. Retrieved from Internet Archive
[2] Al-Shatibi, I. (2016). *Al-muwāfaqāt fī uṣūl al-sharīʿa*. Dar Ibn ʿAffan. Retrieved from Sifatu-Safwa
[3] Al-Qaradawi, Y. (2001). Al-sahwah al-islamiyyah bayna al-ikhtilaf al-mashruʻ wa al-tafarruq al-madhmum. Cairo, Egypt: Dar al-Shurūq.. Retrieved from al-qaradawi
[4] Al-Ghazali, A. H. (2018). *Iḥyāʾ ʿulūm al-dīn*. Dar al-Minhaj. Retrieved from ghazali
[5] Al-Hilali, M. T. (2022). *Al-qirāʾāt al-qurʾāniyya wa-atharuhā fī al-tashrīʿ al-islāmī*. Dar al-Salam.
[6] Hegazy, M. (2021). *Al-tasāmuḥ fī fiqh al-ikhtilāf wa-atharuhu ʿalā waḥdat al-umma al-islāmiyya*. Dar al-Salam.
[7] Shehata, I. (2020). *Al-ikhtilāfāt al-fiqhiyya wa-atharuhā fī taʿzīz al-murūna al-fiqhiyya*. Dar al-Fikr al-Muʿāṣir.
[8] Abd al-Azim, K. (2021). *Idārat al-khilāfāt al-fiqhiyya fī al-islām: Usus wa-adabiyyāt*. Maktabat al-Rushd.
[9] Al-Hazmi, A. S. (2022). *Al-taʿaddudiyya al-fiqhiyya wa-atharuhā fī taqwiyat al-mujtamaʿ al-islāmī*. King Faisal Center for Research and Islamic Studies.
[10] Al-Qurtubi, M. (2021). *Al-jāmiʿ li-aḥkām al-qurʾān*. Markaz al-Dirāsāt al-Qurʾāniyya. Retrieved from shamela
[11] Al-Tahtawi, M. (2021). *Tafsīr āyāt al-ikhtilāf fī al-qurʾān al-karīm*. Dar al-Fajr al-Islami.